

تفسير ابن كثير

مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ
وَرَاعِنَا لِيَا بِلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ^ج وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا

ثم قال تعالى : (من الذين هادوا) " من " هذه لبيان الجنس كقوله : (فاجتنبوا الرجس
من الأوثان) وقوله : (يحرفون الكلم عن مواضعه) أي : يتأولون على غير تأويله ،
ويفسرونه بغير مراد الله ، عز وجل ، قصدا منهم وافتراء (ويقولون سمعنا وعصينا) أي
يقولون سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه . هكذا فسره مجاهد وابن زيد ، وهو المراد ،
وهذا أبلغ في عنادهم وكفرهم ، أنهم يتولون عن كتاب الله بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون
ما عليهم في ذلك من الإثم والعقوبة . وقوله (واسمع غير مسمع) أي : اسمع ما نقول ،
لا سمعت . رواه الضحاك عن ابن عباس . وقال مجاهد والحسن : واسمع غير مقبول منك
قال ابن جرير : والأول أصح . وهو كما قال . وهذا استهزاء منهم واستهتار ، عليهم لعنة
الله [والملائكة والناس أجمعين] . (وراعنا ليا بلسنتهم وطعنا في الدين) أي : يوهمون

أنهم يقولون : راعنا سمعك بقولهم : " راعنا " وإنما يريدون الرعونة . وقد تقدم الكلام في

هذا عند قوله : (يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) [البقرة : 104] . ولهذا

قال تعالى عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهرونه : (ليا بألسنتهم

وطعنا في الدين) يعني : بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال تعالى : (ولو أنهم قالوا

سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون

إلا قليلا) أي : قلوبهم مطرودة عن الخير مبعدة منه ، فلا يدخلها من الإيمان شيء نافع

لهم وقد تقدم الكلام على قوله تعالى : (فقليل ما يؤمنون) [البقرة : 88] والمقصود :

أنهم لا يؤمنون إيمانا نافعا .